

# استنطاق معنى الجندر

كلمات مفتاحية: الجندر، المرأة، الرجل، الثقافة.

أ.م.د. مازن مرسول محمد

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الأنثروبولوجيا التطبيقية



## ملخص

لعل الكلام عن الجندر وعن كل ما يتعلق به يحتاج الى ادوات بحثية عالية في الدقة تعمل على توضيح الصورة الحقيقية لهذا المفهوم وماذا يتضمن وما هي الامور التي اشار لها ، وذلك لإزالة الغموض حوله ومحاولة فك اللبس الذي يعتره من خلال تضارب وجهات النظر بشأنه لأسباب قد تتعلق بمبررات محاولات خرق القواعد الحياتية والاتيان بقواعد جديدة من شأنها ان تؤدي الى ارتفاع جنس على حساب جنس آخر وما يترتب على ذلك من اضطهادٍ للحقوق .

ان الجندر هو محاولة لإعادة صياغة الحياة وفق التقسيم الاجتماعي وليس على اساس التصنيف البايولوجي الذي تتحدد على اساسه كل قيم وعادات وتقاليد ووظائف الانسان ، بحيث لا يؤدي ذلك الى تسلط جنس على حساب جنس آخر وشعوره بالدونية، اذ يهدف للقضاء على السلطة الذكورية التي منحتها المجتمعات للذكور وفق التصنيف البايولوجي والنظر الى الانوثة ككيان لا يختلف عن الذكورة في المساهمة في الحياة ، على ان ذلك لا يستهدف تهميش الذكورة وانما اعادة صياغة ادوارها في الحياة من جديد .

فالمجتمع هو من خلق هذه التفاوتات بين الجنسين دون مراعاة للمؤهلات التي يمكن ان يحملها كلا الجنسين ، ولا يتم الغاء هذه الفروقات الا من خلال خلق جندرية واضحة تقوم على ترتيب الاوراق من جديد بمنح الاناث حقوقها في المجتمع ككيان مساهم وفعل وما عليها من واجبات دون النظر لها نظرة دونية تقلل من شأنها ، وكذلك خلق ادوار جديدة للذكور وانقاذهم مما هم فيه من اوضاع قد رسمها لهم المجتمع وجعلهم اصحاب سلطة في هذه الحياة ليس بإرادتهم وانما وفق تصنيفهم البيولوجي الذي منح لهم هذه المنازل ، وذلك بصناعة ثقافة جندرية تحاول ان تبني اطر حياة جديدة يتعايش فيها البشر من كلا الجنسين وفق هذه المعطيات وليس على اساس تهميش واقصاء جنس دون آخر .

استنطاق معنى الجندر الغرض منه استجواب ما المقصود بالجندر وماذا يتضمن، من خلال تعريفه بشكل يؤدي الى رسم صورة واضحة لهذا المفهوم وازالة عدم الوضوح بينه وبين المفاهيم الاخرى ، وعلى ماذا تنطوي تعاملاته وكيفية وضع حدود خاصة به تميزه عن غيره لتحقيق اهدافه دون الخلط به ، الامر الذي يؤدي الى سوء انطباع وتعامل مع كل معطيات هذا المفهوم .

## **Interrogation the meaning of gender**

. Keywords: gender , Woman , Man , Culture

**Asst. Prof. Dr. Mazin Marsool Mohamed**

**University of Al-Mustansiriya**

**College of Arts**

**Department of Applied Anthropology**

### **Abstract**

Perhaps the talk about gender and everything related to it needs to be research tools high -precision serve to clarify the true picture of this concept and what that includes and what are the things that pointed to it, so as to remove the ambiguity and try to decipher the confusion around him through conflicting views about it for reasons that may be related to the justification attempts breach of the rules of life and come up with new rules that would lead to a rise in sex at the expense of another race and the consequent persecution of rights.

That gender is an attempt to rewrite the life according to the social division and not on the basis of classification biological , which is determined on this basis all the values , customs and traditions and functions of human , so as not to lead to the dominance of sex at the expense of another race , and his sense of inferiority , as it aims to eliminate the male power granted by the communities for males according to biological classification and consideration to femininity as an entity does not differ from the male in contributing to the life , that it is not aimed at marginalized masculinity , but recast their roles in life.

The society is the creation of these disparities between males and females without regard to qualifications that can be carried by both sexes , and is not cancel these differences only through the creation of gendered clear based on the order of the leaves of the new grant of female rights in society as an entity shareholder , effective and from duties without consideration have a look inferiority belittled , as well as create new roles for males and save them from where they are of conditions has drawn them to the community and make them consider the owners of power in this life, not willingly , but according to the classification of biological , which granted them this status , and the industry culture gendered trying to build frameworks life new co-exist where human beings of both sexes according to these data , and not on the basis of marginalization and exclusion of sex without another.

Questioning the meaning of gender purpose of the interrogation What is gender and what that includes, by definition in such a way to draw a clear picture of this concept and the removal of the lack of clarity between him and the other concepts, and why involve dealings and how to set limits on its own distinguish it from others to achieve his goals without mixing it, it which leads to a poor impression and deal with all the data of this concept.

## مقدمة

تُعد موضوعة الجندر من الموضوعات المسكوت عنها في مجتمعاتٍ قد تقولبت وفق اطر حياتية ثابتة وتخشى التغيير الذي تظنه سينسف جذور ما بنت حياتها عليه ، لذلك لم يحظى هذا المفهوم باهتمام عالمي واسع شمل كل البشرية على اعتبار انه يمس الفرد الانساني اينما كان وفي أي وقت ، ولم تأتي عدم الاهمية بشكل كبير الا لأسبابٍ تذرّع بها الكثير على ان هذا المفهوم هو من الاستيرادات من الخارج ولا يتلائم مع القوالب المجتمعية والثقافية ، كما انه ربما يؤدي الى قهر الذكورة وتبرير ذلك انه جاء لمصلحة الانوثة ومحاولة ايجاد متسع لسلطاتها ومكانتها على حساب الذكورة ، ومن خلال هذا الفهم الخاطئ ظلت فكرة الجندرية تسير سيراً بطيئاً وترسخت في افكار دعائها وتوسعت نوعاً ما في ادبياتٍ قد نادى بمفهوم اعادة صياغة الحياة البشرية من جديد من خلال توزيع ادوار الافراد ذكوراً واناثاً وفق مؤهلاتهم وانتاجياتهم ورغبتهم في السعي للتقدم وليس وفق التصنيف البايولوجي الذي اعطى مكانة كبيرة للذكورة وجعلها هي من تتسيد في الحياة ولها الصدارة وهي صاحبة الشأن الاول في كل شيء ، مقارنة مع الانوثة التي صُنِّفها على انها الادنى من الذكورة بحكم طبيعتها البايولوجية وهي الضعيفة بمقابل قوة الذكور وهي التي يجب ان تكون تابعة دائماً وليست ككيان له ادواره الخاصة وقابلياته التي قد تفوق قابليات الذكور ، ومن هذه الافكار انطلقت الجندرية لتعلن محاولات بداية حياة جديدة تعم البشرية ، وقد اتفقت معها جهات متعددة ونقضت ذلك كله جهات اخرى ، وخصوصاً في مجتمعاتنا وثقافتنا الشرقية التي تُقدّس البطيركية وتقهر الانوثة ، اذ ربطوا ذلك كمحاولة لتحطيم سنن الحياة ومحاولة اقضاء ثقافة الذكورة التي اقتنست من ارث الاجداد والآباء ، في الوقت الذي رد دعاة الجندر على كل هذه الافكار بكون الجندرية هي ليست مرادفاً للمرأة او الانوثة ولذلك يخشى الكثير منها ويعدها محاولة لتهميش الذكورة او الرجل ، وانما هي جاءت للذكورة والانوثة معاً ، لتحقيق المساواة بينهما ولتحقيق تفاهم منطقي في الحياة يقوم على محاولة اكساب الرجل قابلية الاعتراف بأنه ليس مُتسيد او متسلط وانما ما منح له كان من تبعات الثقافة التي كبّلت به هذه الاشياء لذلك عليه ان يُمارس ادوار تفاعلية تختلف عن كل هذا ، وعلى المرأة ان تلغي من مخيالاتها انها تابعة وضعيفة ، وانما هي كيان يُكمل مع الرجل الحياة البشرية ولها ادوارها وقابلياتها على الدفع بالمجتمع الى الامام .

ان محاولتنا هنا جاءت لاستتطاق الجندر وما يحوي من معاني تحتاج الى التطبيق الفعلي والحقيقي واجلاء الشك عن هذا المفهوم واستخلاصه من كثير من الافكار المغلوطة التي اعطته اوجه اخرى تبتعد عن الحق والصواب .

تمثلت اطلالتنا هنا بالخوض في ماهية الجندر ، ثم التعرّيج على الاوضاع الاجتماعية والثقافية السائدة في البشرية من ذكورة طاغية وانوثة خاضعة ، وبعد ذلك التطرق الى صورة الثقافة الجندرية وهل هي اقضاء للذكورة ام محاولة اعادة الكفة بين الطرفين ؟ واخيرا محاولة خلق ثقافة جندرية جديدة تتلائم والدعوات التي تضمنها هذا المفهوم .

### اولاً : في ماهية الجندر ( النوع الاجتماعي )

لعل التطرق الى اصطلاح الجندر ومحاولة التفتيش في سيرة تكوينه ، يتطلب منا التعامل بحذر كبير معه وايجاد الرؤية الواضحة حوله ، بسبب اختلاف وجهات النظر حوله او تداخل المفاهيم والاطر النظرية فيما يتعلق به ، لذلك لابد من التعرّيج بصورة متسلسلة حول نشوءه وتكونه ومعناه الظاهر والكامن والتفريق بين وجهات النظر التي طرحت حوله .

ربما يكون مصطلح الجندر أو ( النوع الاجتماعي ) حديث العهد على اسماع الكثيرين اليوم ، فالأمر ينقسم بين من فهموه بطريقة مثلى وتمكنوا من معرفة الغاية منه وبين من سمعوا به ولكن قد تشابكت عليهم الامور وخلطوه بأمر أخرى وبين من لم يسمع به الى الآن ولا يعرف ماذا يعني بالتحديد .

لعل هذا المصطلح قد اثار اللغظ الكبير في فحواه وماذا يبغى ، وهل هو اداة لإعادة قولبة الحياة من جديد ام انه محاولة لفتح مسارات حياتية تكون كافية لإعادة التوازن المعيشي ؟ ام انه اقضاء لفئة على حساب فئة اخرى ، او لتمكين ثقافة قد تكون حديثة العهد ولا تتوافق مع الثقافات المعاشة ؟ لذلك لابد من امانة اللثام عن هذا المصطلح واستتطاق الفحوى من معناه ليكون اكثر وضوحاً وذا معنى جوهري حقيقي يلئم الغاية التي انطلق لأجلها .

يمكن القول ان مفهوم الجندر قد نشأ في اوربا المعاصرة ، الا ان ظهوره قد جاء متأخراً ، حيث تم استخدامه من قبل الحركة النسوية في المملكة المتحدة في سبعينيات القرن العشرين قبل ان يتبلور في كتاب عام ١٩٧٢ ، كما ان ظهور هذا المفهوم متأخراً قد ساعد على مراكمة ارث من السلوكيات والافكار التي تركز على التمييز ضد المرأة وعلى تفوق الرجل في المجتمعات الغربية <sup>(١)</sup> ، الامر الذي يؤكد الرغبة الحقيقية للمرأة في ازالة القوالب

السلوكية والثقافية التي كانت تعيش في ظلها مما دعاها ذلك الى الاجتهاد في صياغة مفهوم يحاول بناء اسس حياة جديدة لا تقتصر على المرأة فقط وانما تشمل الرجل ايضاً .

لقد ارادت النساء من اطلاق هذا المفهوم هو للفت نظر المختصين الى معطى "البعد الاجتماعي" في محصلة الفوارق بين الجنسين حيث كان استعمال لفظ " النوع " من قبلهن هو اشهاراً لرفض التحديد البيولوجي للفروقات بين الجنسين ، وهو تأكيد على بناء العلاقة بصورة أخرى بين الرجل والمرأة بحيث لا تقوم على التحديد البيولوجي فقط. وايضا هي ثورة على الدراسات النسوية التي كانت مقتصرة على دراسة المرأة بشكل منفصل دون مراعاة الطرف الآخر المتمثل بالرجل <sup>(٢)</sup> ، وبذلك يبرز الدور الحقيقي نحو تأصيل مفهوم لا يقوم على مبدأ الاطاحة بالجنس الآخر وانما لتشكيل علاقة توافقية بينهما وكذلك لمحاولة نسيان ان الفوارق بين الجنسين تُحدد بيولوجياً .

ان عالمة الاجتماع النسوية آن أوكلي Ann Oakley قد جاءت بأولى محاولات الضبط العلمي لمفهوم النوع والتي صرّحت بأن الجنس يمثل مفردة تشير الى الفوارق البيولوجية بين الذكور والاناث في حين تحمل لفظة النوع - على العكس من ذلك - اشارة الى الثقافة وهي تشمل التصنيف الاجتماعي الذكوري والانثوي <sup>(٣)</sup> ، أي شمل اشتقاق المصطلح تصنيف وتمييز بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي وهو تمثيل لطرح افكار تنادي بضرورة وضع انماط ثقافية تتماشى على اساس الادوار والسلوكيات وما يجب ان يُحدده المجتمع للفرد دون تحديد هذه الادوار على اساس التصنيف البيولوجي .

ولما كان مفهوم النوع الاجتماعي يحيل الى ما هو ثقافي وليس الى ما هو طبيعي خام ، فذلك يعني ان هناك معنى يعطيه المجتمع للذكر والانثى ، وفحوى ذلك ان كل ما يقوم به الرجال والنساء عدا الوظائف الجنسية والبيولوجية هي من صياغة المجتمع وثقافته <sup>(٤)</sup> .

وحقيقة هذا التصنيف الذي يُحدد مسار الحياة للإنسان على اساس جنسه بحيث مالت الكفة وفق المجتمعات البشرية الى جنس الذكور هو من جعل صيحات الحركات النسوية تتعالى لغرض تحجيم امتدادات هذه الثقافات التي نشأت عليها البشرية ، حتى وان كانت متأخرة الا انها مشروع عمل ناهض ممكن ان يعيد صياغة منهجية حياة جديدة تعطي وتحدد السلوكيات وتفكير الانسان حسب مؤهلات عمل ومقبولية ذلك العمل والتفكير وليس على اساس التصنيف الذي يمنحه المجتمع وفقاً للتحديد البيولوجي والذي منح الذكور أهلية أكبر وتمييز أعلى من الاناث ، وبذلك مالت الكفة الى الذكور كما هو متوقع لكن الفحص الدقيق لهذه المعطيات وجدت ان الكفة لم تمل الى الذكور وظلمت الاناث وانما احطت من مقدّرات كلا الجنسين في

ان يُسَيَّر كلا منهما بحسب ثقافة مجتمعه دون الاعتماد على مؤهلاتهم التي ممكن ان تختلط لهم طريقاً آخر في الحياة .

لذلك كان لابد من تحديد فكرة النوع الاجتماعي حيث " تنطلق من مسلمة وهي ان الاشخاص يولدون "ذكوراً" أو " اناثاً" لكن المجتمع يعاملهم كيف يكونون اولاداً ثم رجالاً او نساءً . ان تلك العملية التعليمية تتولاها مؤسسات التنشئة المختلفة من اسرة ومدرسة وفضاء عمل وفضاء تدين ... الخ ، ومن ثم فان تلك المؤسسات تكسب الافراد وتعودهم على القيام بما يتماشى مع جنسهم ، الا ان الثقافة الكلية للمجتمع تختلف من مجتمع الى آخر وهذا بدوره متغير هام في تحديد أي افكار وأي سلوكيات شائعة لفائدة هذا الجنس او ذاك " (٥) .

وذلك ما خضع له الافراد دون تمييز فالذكر خضع لثقافة مجتمعه التي جعلت منه هو المتسلط بأدواره وأهليته وقدرته على القيام بالأمر وتم اعطاء الانثى ادوارها وما لها وما عليها من سلوكيات تحددت وفق آلية حياة المجتمع وما يجب ان تكون عليه ، الامر الذي جعل لسان حال الحياة البشرية تظهر الذكور بأنهم المتسيدين على الاناث بفعل جنسهم الذي ميّزهم كذكور وما يتحدد على ذلك من افعال وانماط وسلوكيات وما ادى اليه من خلق للمجتمعات الابوانية الذكورية ، فالثقافة المجتمعية حددت ما للذكور وما للاناث من قوالب حياتية ولا يمكن تخطيها معتمدة بذلك على التصنيف الجنسي دون معرفة مؤهلات كلا منهما والابتعاد عن الفروقات الجنسية في التمييز .

وبذلك سار الانسان على اساس ما اناطت له مؤسسات التنشئة الاجتماعية من ادوار ، مما جعل ذلك ارتفاع كفة على حساب كفة اخرى وتحديد عدد من التابوهات التي لا يمكن ان يقترب منها كلا الجنسين الا وفق ما منحه لهم المجتمع بثقافته .

يمكن تعريف النوع الاجتماعي على انه مجموعة من الخصائص والادوار وانماط السلوك التي تميز النساء عن الرجال اجتماعياً وثقافياً وعلاقات القوة بينهما وهذه الخصائص والادوار وانماط السلوك وعلاقات القوة تختلف مع مرور الوقت بين جماعات ثقافية مختلفة بسبب التحول المستمر واختلاف المعاني الثقافية والشخصية بين الجنسين (٦) .

ان ما يقوم به المجتمع من تصنيف للذكورة والانوثة على اساس الجنس يسمى بـ " التحديد الجنسي " أو " Sex Typing " في حين ان النوع الاجتماعي هو التقسيمات والمفاهيم الموازية للانوثة والذكورة والناشئة نتيجة عوامل اجتماعية وثقافية تختلف من مجتمع الى آخر (٧) .



ولعل المجتمعات البشرية تسير وفق هذا التحديد الجنسي منذ فترات زمنية طويلة جدا ، اذ تمنح الاعمال والوظائف وحتى الاعتبارات والمراكز الاجتماعية على اساس اختلاف الجنسين ، فلذاكر اعتبار يختلف عنه لدى الانثى ، وله مهام يفرضها المجتمع عليه بثقافته تختلف عن ما حدده ذلك المجتمع للأنثى من ادوار .

وعلى اساس ذلك التصنيف ظهر الجندر كجزء من السياق الاجتماعي والثقافي الاوسع ، حيث يُعد من المعايير الهامة الاخرى للتحليل الاجتماعي والثقافي للطبقة والعرق ومستوى الفقر والعمر<sup>(8)</sup> ، ومحاولة اعادة قولبة الحياة من جديد في تمييز واضح للمستويات المعاشية وفق القدرات والمؤهلات التي تعطي للفرد مكانته ومنزلته وليس على اساس التنوع البيولوجي للذكور والاناث .

وعلى اساس ان النوع الاجتماعي يمكن فهمه في سياق تكرار الافعال والسلوكيات بطريقة معينة، لذلك يتحول مفهوم النوع الاجتماعي الى كونه سلوكاً بدلاً من بناء اجتماعي<sup>(9)</sup> ، بمعنى الثورة على المرجعيات الثابتة التي حددت تلك السلوكيات والافعال وفقاً للتصنيف البيولوجي ، ليصبح هو التمييز بين الذكور والاناث على اساس مؤهلاتهم الفكرية والثقافية ومعطياتهم وسلوكياتهم وليس على اساس ما يمنحه المجتمع لهم من هذه السلوكيات وكيف يتم حبسهم في اقبية وادراج ثقافته .

ويمكن القول " ان الاهتمام العلمي بمفهوم النوع الاجتماعي كمفهوم اجرائي وكأداة لتحليل الواقع الاجتماعي لم يتبلور بشكل بارز الا مع العقدين الاخيرين من الالفية الثانية ، ولان ظهر مفهوم النوع قبل هذه الفترة ، فان استخدامه على نطاق واسع قد شاع تحديداً عقب مؤتمر (بيجين) سنة ١٩٩٥ ، حيث تجاوز استعماله منذ ذلك التاريخ حدود ساحات العلوم الانسانية والاجتماعية نحو مجالات التنمية وحقوقها المختلفة"<sup>(١٠)</sup>.

بمعنى بدأت ملامح هذا المفهوم بالتداول وبدأ التركيز على أطره تنتشر في مخيلة وتفكير الانسان رغم اختلاط الاشارات له لحد الان ، وذلك ما هو الا محاولة لقلب الامور الى ما هو افضل من اعادة صياغة تحديد الادوار مرة اخرى وما يترتب على ذلك التحديد من اعادة هيكلية جديدة ورؤية واضحة للحياة البشرية التي يشترك بها الذكور والاناث .

أي بمعنى آخر محاولة قولبة الجوانب الاجتماعية التي يعيش من خلالها الانسان وفق النوع الاجتماعي الى جوانب تمكن الجنسين من العيش ليس كأجناس مختلفة بيولوجياً ، وانما

بقدر ما يساهم كل جنس منهم في أدوار تمكن المجتمع من الانطلاق الى الامام مع محاولة اقتلاع وتجنب الازمات التي ممكن ان تعترى طريقهم .

ان النوع الاجتماعي يمثل ابراز صور اخرى لمستويات الحياة الاجتماعية التي ينبغي ان تكون وفق اسس تنظيمية لا تأخذ بالحسبان فقط نوع الجنس ، وانما كفاءة الجنس أياً كان ومساهمته في تقدم ونهوض حياته وحياة المجتمع الذي يعيش فيه .

ورغم كل ما طرح حول هذا المفهوم من محاولات لتأصيل المعنى الخاص به ، الا انه يحتاج الى جهود أكبر لكي يأخذ موقعه بثبات في الاطر الفكرية والثقافية ، ويبدأ التغيير على اساسه ، انه ما زال في مرحلة التثبيت ، فهو بحاجة لان يُدرك من قبل الكثير من ثقافات المجتمعات مع الوعي الجاد به ، حتى يتم تقبله وان تطلب الامر فترات زمنية طويلة ، فالمهم في ذلك هو عدم تسطيح المفهوم وافراغه من محتواه واعتباره مجرد فورة قد جاءت ، وانما هو بداية لإعادة تمكين الجنس البشري وفق رؤى جديدة صحيحة .

## ثانياً : أبوانية مُحَكَّمة : ذكورة طاغية وأنوثة خاضعة

لو نظرنا قليلاً الى الوراثة وتتبعنا سيرة حياة الجنس البشري لوجدنا ان الكثير من المجتمعات قد نشأت افرادها على النزعة الذكورية الطاغية في مقابل خنوع وخضوع المرأة او الانثى ، على الرغم من ان هناك دراسات قد اشارت الى تحكم النزعات الامومية في كثير من ثقافات المجتمعات ، واستمرت على هذه الثقافات الى فترات طويلة ، وفي الوقت ذاته كانت هناك ايضاً مجتمعات تحكمها النزعة الذكورية ، وقد احدثت التغييرات الثقافية تحولات عديدة الغت معها النزعة الامومية لتبقى على الذكورية المتسلطة منها ، وحقيقة الامر اعتمدت المجتمعات الذكورية على ثقافات قد مجّدت الذكور وجعلت الكفة تميل لصالحه وقد اعتمدت في ذلك على الجانب الفيزيولوجي دون معرفة ان الانثى بتركيبها الجسدي تُعد ايضاً كيان بشري ولا يجب الانتقاص منه لهذه الدرجة ، فاعتمدت تلك الثقافات على قوة الذكور البدنية وقارنتها بالقوة الادنى للإناث الامر الذي جعلت السيادة للذكر في كل شيء ، وكأنه هو من يدير الحياة او بمعنى اصح هو من يختار الحياة الصحيحة للإناث ، بقوته الجسدية وقدرته وفعالياته التي تصبح نتيجة لذلك افضل من قدرات الاناث حسب ما رسخته تلك الثقافات ، وظلت هذه الصورة لفترات طويلة وقد اخذت لها مكاناً واسعاً في ثقافات الماضي ومازالت لحد هذه اللحظة تظهر في سلوكيات وافعال عدد من ثقافات مجتمعاتنا المختلفة ، فمجيء

التشريعات الدينية قد وضح الى حد كبير حقوق وواجبات كلا الطرفين وما يتناسب مع قدرة كلا منهما ، الا ان ما هو سائد عند التصنيف بين الذكر والانثى تجد ان الارجحية تميل لصالح الذكر في الاحقية في تولي زمام امور الحياة الامر الذي قورن الذكر بالخشونة والصلابة والقوة والشجاعة والجرأة وغيرها بمقابل مقارنة الانثى بالنعومة والليونة والخوف وعدم الجرأة وغيرها من الامور ، وحقيقة ذلك ان كل هذه السمات والتقييمات لم تولد مع الانسان بحد ذاته سواء كان ذكر ام انثى وانما ما وضع هذه الادوار ووظفها للأفراد هو المجتمع وما موجود به من ثقافة .

فلا يوجد ذكر مُتسيد يمارس دور السلطة الذكورية دون ان تكون هناك ثقافة مجتمعية قد منحت هذا الدور ولم توجد انثى خاضعة تمارس دور التابع دون وجود ثقافة قد جعلتها مُسيّرة لذلك ، وعلى العكس من ذلك ايضاً فوجود مجتمعات يوجد فيها توازن وغياب السلطة الابوانية لم يأت ذلك اعتباطاً وانما ما رسمته الثقافة هناك للأفراد الذين يعيشون بتلك البيئات الثقافية .

من ذلك يمكن القول ان السيطرة الذكورية داخل العائلة ستؤدي حتماً الى دونية انثوية ، حيث ان الاسرة ستبقى محكومة بإرث اجتماعي على اعتبار انها المرأة العاكسة للمجتمع في مستوى القيم والرموز والعقائد والعادات والتقاليد ومختلف التراكمات الثقافية<sup>(١١)</sup> .

اذ ان منطلق التراكمات يبدأ من الاسرة التي تُجسّد ادوار السلطة الابوانية الذكورية التي يمارس فيها تصنيف الادوار وفق الارث الثقافي المتبع من الاجداد والآباء والذي يقوم على تهيئة الاجيال الجديدة لأدوار وفعاليات وسلوكيات تتناسب ونوع الجنس الخاص بهم ، حيث تعطي للذكر سلوكيات تعطيه القوة والسيطرة على الاناث وتجعل منه المُتسيد في القول والفعل عليها بمقابل اعطاء ادوار الخضوع والخنوع واطاعة الاوامر للأنثى دون ايجاد أي حق لها في اختيار مصيرها وحريتها ككيان بشري .

لقد بات للثقافة المُعاشة دور كبير ومباشر على طريقة فهم المرأة او الرد على العنف ، فعلى سبيل المثال في اجزاء كثيرة من افريقيا وكذلك في اجزاء اخرى من العالم النامي تفترض الثقافة ان الزوج له الحق في تأديب زوجته وهذا قد يشمل العنف البدني<sup>(١٢)</sup> ، وواقعاً لا تزال هذه الثقافة مُتجذرة في كثير من هذه الثقافات بفعل السلطة الذكورية التي منحها الثقافة التي وضعت الذكر في المقدمة والانثى في الخلف ، ولا يقتصر الامر على فقط تأديب الزوجة والاحقية بذلك، وانما قد يشمل الامر الاستبداد بالرأي للذكور على الاناث حتى وان كان خاطئاً ومسوخ قيمة وهيبة المرأة بمقابل التفرد بالقيمة العليا للذكر ، الامر الذي يجعل من

المرأة مجرد اداة بيد الرجل للقيام بكثيرٍ من الامور دون مراعاة الاهمية المعنوية التي تتمتع بها مما، استحال الوضع الى ممارسة العنف الجسدي ضدها او اللفظي وشتى انواع العنف تجاهها ، باعتبارها شيئاً مملوكاً للرجل وليست كيان يتساوى مع الذكر في الحقوق والواجبات ، على ان ذلك الوضع لا يشمل كل المجتمعات فهناك افراد في مجتمعات يتعامل ذكورها بطريقةٍ مستقيمة سليمة مع الاناث من خلال وعي الدور الذي تضطلع به المرأة والنظر لها على انها مُكمّلة ومُدِمة للحياة وليست مجرد اداة نستخدمها لإداء الكثير من الفعاليات .

ورغم هذه الدونية التي وصمت بها المرأة والمتأتية من ميراث ثقافي واجتماعي اعطى الاحقية للرجل على حساب المرأة ، الا ان ادوارها تختلف من مجتمع الى آخر ، حيث تبقى المرأة في الكثير من المجتمعات في المنزل لرعاية الاطفال والقيام بأمر المنزل ، وفي مجتمعات اخرى تخرج المرأة وتعمل تقريباً بقدر الرجل والمشاركة بدرجاتٍ مختلفة في انتاج الدخل للأسرة والانشطة الاخرى<sup>(13)</sup> ، ومع هذه الصورة تبقى المرأة في الكثير من الثقافات تعاني التسلط الذكوري رغم مشاركتها وأهليتها الواسعة في العديد من المجتمعات ، اذ قد تقوم بأدوار الرجل في التكفل بإعالة المنزل وافراده ، ولكن في الاشارة الى الاعتبار الاجتماعي لا تحظى الانثى بمثل الاعتبار الذي يحظى الذكر به وذلك ما تم الاتفاق عليه ثقافياً واجتماعياً وأصبح قاعدة تسيير عليها الكثير من المجتمعات .

ولعل هذا التمييز بين الذكور والاناث يقف على الضد من المرأة حتى في سوق العمل ، اذ انه يقلل من المواهب المتوافرة في الاقتصاد ، فالكثير من الممارسات الاجتماعية المتبعة في الثقافات بعضها يُنظر لها من وجهة نظر دينية ، الامر الذي كلف ذلك عواقب اقتصادية عميقة لا تسمح للاستفادة من المواهب النسائية<sup>(14)</sup> ، اذ لم يقتصر الامر على السلطة في الاسرة ، فتصنيف ادوار الذكور والاناث انتقل الى خارج الاسرة بفعل قنوات التنشئة الاجتماعية الاخرى ، حيث ان السلطة الذكورية قد منعت دخول المرأة في سوق العمل والاقتصاد في كثير من المجتمعات لاعتبارات اجتماعية وعرفية ودينية اخرى ، الا ان هذه الوضع قد حرم الاقتصاد البشري من طاقات انثوية كبيرة ممكن ان تُساهم في ازدهار وتقدم البشرية الى الامام ، على ان ذلك لا يعني ان المرأة لم تدخل سوق العمل الى هذه اللحظة وانما قد دخلت ولكن بنسبة خجولة وضعيفة وبقيت الصورة التي تحيط بها صورة ادنى من صورة رجل سوق العمل .

ولا يقتصر الامر على ميدان سوق العمل والنظرة الى مشاركة ودخول الاناث فيه وانما يشمل كذلك ان هناك تمييز ايضاً في فرص صنع القرار والمسؤوليات والانشطة المُضطلع بها

في المجتمع والوصول الى الموارد والسيطرة عليها<sup>(15)</sup>، فلا يذكر التاريخ والى الآن حالات كثيرة تشير الى تولي المرأة لقيادة المجتمعات والسلطة والتحكم في مقدرات الشعوب الا في بعض الفترات التاريخية وعلى نطاق ضيق ، بسبب القوالب النمطية التي منحت للرجل دوراً قيادياً لا يشمل الاسرة فقط وانما المجتمع واختزلت المرأة من هذه الادوار بحجج ضعفها البدني ومبررات اخرى جعلتها تحتل المرتبة الثانية في الكفاءة والتعامل مع فعاليات الحياة .

وكذلك تم التعامل وما يزال مع المرأة وفق منطلق انها تحتل المرتبة الادنى من الرجل بحكم دور السلطوية الذكورية ليس فقط فيما تم ذكره وانما شمل كل نواحي الحياة والنظرة القابعة في مخيلة الانسان من ان المرأة تأتي تباعاً بعد الرجل وفي كل الميادين الثقافية والتربوية والفكرية والسياسية... الخ ، وان كانت هناك استثناءات فهي قليلة جداً ولا تُلبى طموح المرأة ورغبتها في الخلاص من الادوار الحياتية التي رسّختها الثقافة المعاشة لها وجعلتها كياناً خاضعاً حتى وان عمل بكل جهده للتميز والتفوق .

ان كل هذه المنزلة التي منحت للذكورة موقِعاً مُتسديداً في مقابل انوثة خاضعة ادى الى ان تُمتن المرأة في كثير من الحالات جسدياً ولفظياً واقتصادياً وسياسياً وعاطفياً ، بحكم القوة والتسلط وقوانين قد نحتتها الثقافات المجتمعية .

فالعنف الجندي بات يحدث في جميع المجتمعات تقريباً ، وفي جميع الطبقات الاجتماعية ، حيث تبرز النساء بشكل اكبر عرضة للخطر من الرجال<sup>(16)</sup>، ولا يأتي ذلك اعتباطاً وانما ما رسّخته المجتمعات بثقافتها وما هيأت له جعل من المرأة عرضة بشكل واسع لعدة مخاطر وتعنيف واضح من قبل المجتمع الذي تعيش فيه ، وتختلف نسبة تعنيف النساء من مجتمع الى آخر وبحسب النظرة التي ينظر من خلالها الافراد للعنصر الانثوي والتراكمات الثقافية والصور التي بُنيت حول ادوارها ومساهماتها ووجودها ككيان بشري في الحياة .

وربما لا يوجد هناك تعريف واحد للعنف الجندي مقبول دولياً حيث يوجد تعريف قد يشمل الاغتصاب والتحرش الجنسي وضرب الزوجة والاعتداء الجنسي على الفتيات، والعنف غير الزوجي داخل المنزل ، وتعريفات اخرى تمتد الى الاغتصاب الزوجي وتصرفات من قبيل مثلاً تشويه الاعضاء التناسلية للإناث ، ووَأد البنات والاجهاض الانتقائي بسبب جنس الجنين ، وتعريفات معينة تعرفه بالاستغلال الجنسي مثل البغاء القسري والاتجار بالنساء والفتيات والمواد الاباحية<sup>(17)</sup> ، ومهما يكن من طرق وانواع مختلفة تُمارس من خلالها صور

تعنيف المرأة الا ان ذلك يشير الى حقيقة واحدة وهي واقعية الأهلية التي تتمتع بها النساء في المجتمع البشري ، وهل يُنظر لهن جميعاً بمنظار الإنسان المؤهل القادر على خوض غمار الحياة وتحقيق استقلاليته كما الامر مع الرجال ، ومن خلال الامثلة التي طُرحت لتعريف العنف الذي تتعرض له النساء او الانوثة بحد ذاتها باختلاف النسب في الثقافات والمجتمعات ، فذلك يؤيد النظرة الدونية التي تصور النساء على انهن مغتصابات في الحياة لا بتحريض من الجنس الآخر وانما بتحريض الثقافة المجتمعية التي جعلتها تكون في هذه المواقع وتتعرض لشتى صنوف العنف من قبل ليس الرجل فقط وبل حتى من المرأة نفسها التي تستهين بمنزلتها فتعامل من ذوات جنسها بدونية ايضاً وفق ما وضعه المجتمع ، على ان ذلك لا يشمل المجتمع البشري برمته وانما توجد نسب تختلف بين ثقافة وأخرى وتختلف في طريقة التعامل مع النساء ايضاً .

وبطبيعة الحال ان من الآثار السلبية للعنف ضد النساء هي اضرار بدنية وعقلية (مثل الاكتئاب والقلق) والضرر بالصحة الانجابية والجنسية واضطرابات في الاكل وغيرها (18) .

ويقيناً ان كل ذلك قد تأتى من قوالب ثقافية نمطية قد لا تشمل مجتمع دون آخر وانما بصفة عامة كل المجتمعات البشرية الا ان الامر يختلف بالنسبة بين مجتمع وآخر، بحيث اضطرت المرأة وبفعل ما فرض عليها من ثقافة تقوم على اجبارها على الاتساق وفق عادات وتقاليد وقيم المجتمع الى مجازاة الخضوع والخنوع الذي مُنح لها وحدد ان تسير وفقاً له ، الامر الذي حمل في مخزون ذاكرة الفرد ان المرأة تتمتع هي بتلك الصفات وليس المجتمع هو من قوّلبها على الانجرار وتقمص هذه القوالب ، مما احال المرأة الى شيء ينتفع به لعدة اغراض وليس ككيان له حقوق وعليه واجبات ممكن ان ينعم ويتمتع بها .

ان سيرة حياة الانوثة في الحياة البشرية تُشير الى معاناة كبيرة قد همّشت هذه الانوثة ووضعتها موضع التقريع والتجريح والخط من المنزل ، فالأمر هو ليس الحصول على لقمة العيش فقط والعيش بهناء ، وانما الهناء يأتي بالشعور كوجود انساني يؤدي ادوار فعالة في الحياة وليس مجرد اداة لإتمام الكثير من الامور يُنظر لها نظرة دونية تتأتى من طبيعتها الفيزيولوجية ومقارنتها بالطبيعة الجسدية للرجل وتُبنى على اساس ذلك احكام الخوض في الحياة وتسيير امورها .

لقد وصلت الانوثة الى حد الانفجار فبرزت المحاولات العديدة نحو تأصيل مفهوم الجندر ، لغرض تغيير واقع الحياة المُعاشة بالنسبة للانوثة والخروج من شرقة السلطة الذكورية الى

انظمة عامة تكفل الوجود الحقيقي للمرأة دون تهميشها وتغييب دورها في الحياة والتعامل معها كجسد وليست كأُنسان .

### ثالثاً : ثقافة الجنَدر : اقْصاءٌ للذكورة ام اعادة موازنة الكفة

يمكن القول ان ظهور هذا المفهوم قد اثار الكثير من اللغط حول ما اذا كان الغرض منه هو التلاعب بقواعد الحياة البشرية المُتَبَّعة التي تتمثل بسنن وانماط وسلوكيات سارت عليها المجتمعات البشرية ، لذلك فقد اختلفت الآراء حول الجنَدر بين مؤيد ورافض وبين من لا يفهم شيء عن المفهوم وماذا يعني ، وحقيقة لا تزال الى الآن هناك رؤية ضبابية تحوم حوله ويحتاج الى تمدد وتوسع اكثر في العديد من الادبيات وفي مقررات مؤتمرات التنمية البشرية والانسانية ، ويحتاج الى ترسيخ أكثر في مديات الوعي اللازمة للعيش الانساني .

فعندما تعالت الصيحات النسوية بشكل خاص ومؤيدي الحركات النسوية بشكل عام لغرض تشريع مفهوم الجنَدر ، حقيقة كان لغرض انقاذ المرأة من الحتمية الاجتماعية التي تعيشها ، مع النظر في نفس الوقت الى ان المناداة بالجنَدر لا يعكس مصلحة خاصة وانما عامة ، أي لا يشمل محابة المرأة على حساب الرجل او الانوثة على حساب الذكورة ، وان كان المنطلق هو يبدأ من معاناة الانوثة في العالم البشري ، الا انه ابتغى اعادة هيكلة جديدة وصحيحة لتقسيم الادوار والانماط والسلوكيات المُتَقاة على عاتق الانسان كلاً بحسب قابلياته وجهوده وعمله وليس على اساس التصنيف البايولوجي الذي حرم كلاً من الذكر والانثى من الانتاج الذاتي الذي تفصح عنه قدراتهما وليس جنسهما في الحياة .

لقد بدأت مسألة الجنَدر تكون محور نقاشات الحياة الاجتماعية ، بحيث ان ظهور مفهوم النوع الاجتماعي قد لفت الانتباه الى الانقسامات الجنسية في المجتمع وانماط الاختلافات والتفاوتات الاجتماعية <sup>(19)</sup> ، وايضاً الى مسائل وقضايا تحتاج الى اعادة تفسير وصياغة من جديد فيما يتعلق بموقع الذكور والاناث في هذه الحياة وطبيعة المصادر التي يتلقى منها الافراد تنشئتهم واكتسابهم لأدوارهم ومراكزهم في المجتمع ، كما ان الإشارة لهذا المفهوم والتركيز عليه افصح عن تطلّعات كبيرة قد جعلناها تلحق بالجنس البشري قامت على التعامل مع الانسان كجسد فقط وليس ككيان له ذاتيته الخاصة وابتكاراته وقابلياته على النماء والاندماج وبناء الحياة .

وقد برزت هناك اشارة تُركز على " ان أيديولوجيا النوع لا ترمي الى بناء مركزية انثوية ، وانما تهدف الى الحد من التمييز ضد المرأة وليس سلم الوظائف الاجتماعية " <sup>(٢٠)</sup> ، أي

بمعنى ان المسألة لا تتعدى ان تكون محاولات جادة لإيجاد تصنيف حياة جديد يغير حياة المرأة ، دون الخروج عن نوااميس المجتمع وتصوراته ، فالجنّدر ليس هو النظر بصورة التمييز بحجج انصاف المرأة ، وانما ايجاد تعاملات جديدة ممكن ان تيسر حياة المرأة وتلغي التمييز عنها فضلاً عن قولبة حياة الرجل بشكل آخر يجعل منه قادراً على هضم كل هذه التغيرات ليتسق معها.

وعندما ظهر مفهوم الجنّدر لم يظهر كمرادف للمرأة كما انه ليس لعبة محصلتها صفر ، مما يعني خسارة للرجال ، بل يشير الى كل من المرأة والرجل والى وضعهم بالنسبة لبعضهم البعض ، ونشر المساواة بينهم <sup>(21)</sup> ، ومن ذلك قد برزت الكثير من التحفظات حول اشتقاقات هذا المفهوم ومحاولات تأصيله ، خشية انه يحاول التأسيس لقاعدة نسوية تطيح بالسلطوية الذكورية وتحاول الخلاص منها ، في حين ان فلسفة الجنّدر تقوم على محاولة بلورة حياة جديدة يُنظر فيها الى الانوثة نظرة تختلف عن السابق ، نظرة تحصل من خلالها على وجودها ككيان بشري له حقوقه وعليه واجبات ، ولا يعني ذلك بالضرورة سلخ الرجولة عن الحياة البشرية او محاولة الحط من تقديرها ومنزلتها ، اذ يُخيل للبعض ان الجنّدرية هي اغتصاب لقوانين وأسس حياتية أقرّت بسيادة الرجل والذكورة بشكل عام ، وهي محاولة لإزاحة الذكورة من ناحية التسيّد واستبدالها بالأنوثة التي كانت خاضعة ومقهورة .

ان الجنّدرية هي تأسيس لقواعد جديدة تقوم على توثيق العلاقات في التعامل بين الذكور والاناث لما يحقق مصلحة الكل البشري ، دون اللجوء الى القوانين التي قهرت المرأة وجعلتها تابعة للبطريركية المتسلطة ، ولبناء أسس فاعلة توضح مسالك القنوات الصحيحة التي ينبغي ان يتجه من خلالها الرجل ، دون الرجوع الى التسيير والجبرية الاجتماعية التي فرضها المجتمع وثقافته على الرجل وجعله يتقصد دور القوي والخنس والمتصلب والمتسلط على من هو ادنى منه .

لعل تحقيق المساواة بين الجنسين هي عملية باتت جداً بطيئة اذ ان هناك تحدي لأكثر العمليات رسوخاً في جميع المواقف الانسانية ، وعلى الرغم من الجهود المكثفة للعديد من المنظمات والوكالات الا ان الصورة ما زالت مُحبطة الى حد ما ، لأنها تتسع لتشمل اكثر من التغييرات في القانون او السياسة المعلنة لتغيير الممارسات في المنزل ، او المجتمع والبيئة وفي صنع القرار <sup>(22)</sup> ، وفعلاً ما زالت هذه الصيحات التي تنادي بتحقيق المساواة بين الجنسين وفق مفهوم جنّدري واضح دون المستوى ، والعمل الذي أُسس لتشريع هذا المفهوم ضعيفاً نوعاً ما وتعتريه الكثير من الصعوبات، الا ان انعكاسات واصداء كل هذه القضايا لا تدل



على وجود فهمٍ واسعٍ لضرورة فك التباس المساواة بين الجنسين وفي أي أمور ينبغي ان تكون وعلى أي اسس تُصنّف الحياة وتُمنح الادوار ، اذ ما زال هناك نكوص وتراجع وعدم وجود همة في محاولة ترسيخ قوانين المساواة ، وانما المرور عليها وكأنها فورة من فورات الزمان التي تحدث والتي يمكن ان تخدم في أي لحظة ، دون وضعها في الحسبان .

ولعل المساواة الجندرية تشير الى المساواة في الحقوق والمسؤوليات والفرص بين النساء والرجال ، ويتم ادراج ذلك ايضاً في السلوكيات والطموحات والاحتياجات الخاصة بالنساء والرجال على حدٍ سواء (23) ، على ان لا يؤدي ذلك الى خرق السنن والقوانين التي نشأت عليها الحياة ، وانما اعادة بلورة هيكلية حياة جديدة ممكن ان تمنح المرأة ما يناسبها ووفق قدراتها ومؤهلاتها من اعمال وتمنح الرجل ايضاً حقوق وواجبات تجعله ينظر نظرة مختلفة للحياة تبتعد كثيراً عن الموقع الجبري الذي خلقه له المجتمع .

ومما يثير القلق جداً هو انه حتى في ضوء الوعي الدولي المتزايد لقضايا المساواة بين الجنسين الا انه لا يوجد بلد لحد الان قد تمكنت من القضاء على الفجوة بين الجنسين بشكل كبير، ومن نجاح بتضييق الفجوة هي بلدان الشمال الاوروبي ، مع السويد التي تقف خارجاً بأنها الاكثر تقدماً في العالم (24) ، الامر الذي يدل على الخشية الكبيرة من الدعم الحقيقي لقضية تمكين ترسيخ الجندرية في الحياة البشرية ، وتترجم هذه الخشية من بقاء الافكار البطريركية تخشى من محاولات استئصالها وسلخ مقومات عملها وبالتالي تحطيم اسس حياة قد بُنيت وتحتاج الى وقت طويل لكي يتم فهمها ووعيتها بصورة مناسبة ، فعندما يكون هناك تصور افتراضي بأن كل ما يقصده الفكر الجندري هو اقضاء وتحطيم الذكورة واحلال الانوثة محلها كمُتسيد ، عندها لا يكون هناك تقبّل كبير لما يُطرح حول الجندر بل تشكيك واضح قد يصل الى حد الرفض القاطع .

وقد تكون ابرز المحطات التي حجّت دور وأهلية المرأة ، هو حجبها في المنزل فقط ، فهي التي تعمل في المنزل وتحافظ على الاسرة وتقوم بجميع الاعمال المنزلية والانشطة الاخرى ، في حين ان الرجل هو الذي يعمل خارج المنزل وليس له علاقة بعمل المرأة في الداخل ، ومع ذلك تبرز آلية حجب الحقوق عن المرأة وتسييرها على انها قد خلقت للمنزل فقط ، والنظر لها ليس كمُدبّرة للمنزل ومتقنة لعمله وانما لضعفها وعدم اهليتها لذلك تركت للأسرة وشؤونها المنزلية ، في حين تُتأط المهام الكبرى بالرجل والعمل في خارج البيت ، على اعتبار انه الاصلح والاقوى والاكثر تمكيناً وفق ما حددته الثقافة المجتمعية ، لذلك

فالجندرية هي رفض لكل هذه الأساليب التي تتعامل مع المرأة بنوع من الدونية التي تلغي كيانها كإنسان وتقتل كل القابليات لديها على التطور والتقدم.

وكنوع من تحقيق المساواة على قدرٍ بسيط ، فقد زادت مساهمات الرجال في الاعمال المنزلية الروتينية وخروج بعض النساء للعمل خارج المنزل ، الا انه مع ذلك لا تزال النساء العاملات يتحملن المسؤولية الرئيسة والمساهمة بشكل أكثر من شركائهن الذكور في المنزل ، الامر الذي ادى الى مضاعفة عبء العمل على المرأة<sup>(25)</sup> ، والمسألة لا تتعلق بعدم قدرة الرجل على اتمام اعمال المنزل والمشاركة فيها ، وانما المنزلة التي وجد الرجل نفسه فيها والممنوحة من ثقافة المجتمع تُحتمّ عليه ان يبتعد عن كل ما يخل برجولته ، فذلك من اعمال النساء التي تدل على الضعف والازدراء ، ومكانه هو خارج البيت وان شارك ببعض الاعمال فذلك عليه ان لا ينقص من ادواره الحقيقية ويعود الى عمله الاساس دون الركون الى اخذ دور المرأة ، اذ ان تلك هي نظرة استعلاء قد لا يكون للرجل ذنب فيها كبير سوى ان ما جعله بهذه الصفات هي البيئة التي عاش ونشأ فيها وتقمّص كل سلوكياتها وأفعالها ، وعليه ان لا يخرج ويحيد عنها والا عُد ذلك انتقاصاً من ارث الآباء والاجداد والشذوذ عن آليات بناء وبقاء المجتمع .

ولعل وجود فئات اكثر انفتاحاً على مسألة الرجولة ، سيؤدي الى وجود رجال سيتفقون حول وجهة نظر معينة بخصوص الذكورة ، الامر الذي قد يُضعف من خطاب الهيمنة الذكورية ، ويكون له تأثير ايجابي على التصورات حول هوية الذكور<sup>(26)</sup>، بحيث يؤدي ذلك الى التحشيد حول مسألة الذكورة وفهم الامر على انه ليس اقصاؤها وانما اعادة توظيفها بشكل ملائم ، بحيث لا تكون ذكورية متسلطة وانما ذكورية مساندة للجنس الآخر وليست سالبة لحقه ، ومُساهمة في اعادة انتاج انماط تسيّدية تتعلق بالأجيال التي تأتي فيما بعد .

يمكن القول ان الصورة بتجلياتها باتت واضحة ، حيث لا توجد ثورة لتطهير المجتمع البشري من شيء اسمه الذكورة وإنما تطهيره من التسلط الذكوري ، مع اعادة صياغة جديدة وواعية لأطر العيش الانساني ، بالشكل الذي يضمن مساواة الاناث مع الذكور في تقسيم الحقوق والواجبات ، وسلخ التصنيف القائم على الفروق الجنسية البايولوجية والابتعاد عنه ، واحلال محله التصنيف القائم على الأهلية والقدرة والكفاءة التي يتمتع بها كل فرد سواء كان ذكر ام انثى وقدرته على اخذ مركزه ومنزلته في الحياة والمساهمة في بناء المجتمع ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ضرورة التشديد على وضع منطلقات اساسية لخلق ذكورة واعية وانوثة جادة للعيش بتوافق ، دون اعادة انتاج ذكورة مُتسلطة وانوثة خاضعة بنفس المبادئ والآليات .

## رابعاً : جذرة ثقافة المجتمع وامكانية خلق مجتمع جنّدي جديد

ربما ان تشخيص العلل ووضع الدواء المناسب لها قد يكون سهلاً نوعاً ما ، ولكن الاشكالية تكمن في طرق التطبيق وهل ستأتي مُيسّرة بحيث نحصل على النتائج المرجوة، ام ان الامر سيكون غاية في الصعوبة ويحتاج الى مأسسة جديدة تؤهل الافراد في المجتمع لخلق حياة بشرية تختلف بالنسبة لهم ولناظريهم عما كانت عليه في السابق؟ من ناحية كيفية تلقين واكساب الافراد الادوار المناطة بهم وترصين هوياتهم في الحياة وبناء ثوابت اصيلة لها ، دون الرجوع الى القهقري ومحاولة اجترار التراث العتيق بأخطائه ، ام الاستفادة قدر الامكان من تجاربه النافعة ومحاولة ازالة كل ما هو ضار فيه .

ولا يمكن ان تكون هذه المهمة سهلة وخصوصاً ان الامر يتعلق بمكونات وانماط ثقافية لا يمكن اقتطاع جذورها بسهولة ، وانما يتطلب الامر بناء اصول ثقافية تبدأ من الاسرة وطرق تنشئتها للأفراد والتميز بين افرادها ، ومن ثم الانتقال الى رؤى المجتمع بمؤسساته للحياة البشرية بما فيها من افراد يتوزعون بين جنسين هم الذكور والاناث .

من المؤكد اننا نعيش في مجتمعات تكون جل ثقافتها وقد بنيت على اصول قامت على الابوانية المتجذرة التي ترسّخت بشكل كبير منذ فترات زمنية طويلة جداً ، وهذه هي احوال المجتمع العربي على الاغلب ، فالابوانية التي فرضت السلطة الذكورية كانت ومازالت هي القاعدة السائدة في الحياة ، والتي تقوم على احراز ادوار الفرد منذ نشأته وفقاً لجنسه ، وبالأخص قد ركّزت ادوار الاولوية والسيادة والقوة والريادة للذكورة تاركة ادوار التبعية والضعف الى الاناث ، وتراكت هذه الثقافة لتبلور لنا اجيالاً لا تنفك ان تخرج عن رؤى وتصورات ذكورية تُمارس القهر من خلالها على الاناث ، وحقيقة ان الذكورة ايضاً قد سُلبت منها ادوارها الحقيقية التي ممكن ان تفصح عنها بمؤهلاتها وقابلياتها دون اسناد الامر لها وجعله مُناطاً بها ، فالذكورة اُبُلّيت ايضاً بوصم المجتمع بثقافته لها بأنها هي التي يجب ان تتسيّد كل شيء ، لأنها بايولوجياً اسمى وافضل من الانوثة وعليها ان تتكفل بأمر كل شيء في الحياة محتلة بذلك مراتب التقدم لتترك المراتب المتأخرة للأنوثة .

وفي خضم كل هذا ففضية اطلاق المفهوم الجنّدي وفق كل هذه الرؤى تكاد تكون صعبة من عدة نواحي ، منها ان من الصعوبة بمكان ان تتغير ثقافة متجذرة قائمة على النظام الابواني الذكوري بسهولة ، وايضاً صعوبة في استخلاص الرؤى والحقائق التي تتعلق بالجنّدية ووضعها بإطار واضح وتخليصها من مواقع الشك والريبة التي تدّعي بأنها ثورة

على الذكورة ومحاولة لتغريب وانتزاع الموروث من هذه المجتمعات او اجحاف حق الذكور على حساب الاناث واعادة صياغة الحياة بصورة غير مقبولة من جديد ، فالمر يحتاج الى منظومة وعي متكاملة تُرسّخ المفهوم الجنّدي بطريقةٍ توائم بين الافراد ولا تؤدي الى تنازع ثقافي قد يخلق فجوة تكون مضارها كبيرة .

حقيقة قد شهدنا تغيير في التنمية الشاملة للمسنين والمعاقين جسدياً وعقلياً ، ولكن لم يتحقق الا القليل بشأن الجنّدر والتنوع بين الجنسين ، والسبب الرئيس في ذلك هو تعقيد الثقافة من حيث الاختلافات في البنى الاجتماعية والصراعات مع البنى الشخصية<sup>(27)</sup> ، فنحن بحاجة الى تغليب ثقافة الجنّدر القائمة على النظر الى الجنسين نظرة توازنية تقوم على الاعتراف بقدرات كلا منهما وفق ما يتلائم وعطاؤه في المجتمع دون التمييز القهري الذي يؤدي الى سلخ الانوثة بأدوارها وسجن الذكورة بأدوار التسلّط والتسيّد ، اذ يُفترض ان يكون هناك تأكيد واسع على مدى اهمية الجنّدرية في الحياة البشرية وخصوصاً في مجتمعاتنا الشرقية التي تعاني من تجنّز الابوانية فيها .

ان مفهوم النوع الاجتماعي جاء مع زوبعة من الرفض والتهكّم بحق مطلقه ، اذ ان انتشاره اثار في بعض الدول العربية حفيظة بعض القوى السياسية والاجتماعية الفاعلة في المجتمع ، حيث وجدت فيه مفهوماً مفروضاً من الغرب ، ولا يمكن ان يكون ملائماً للمرأة العربية ولا ينبع من واقع احتياجاتها ، وعدّت المناداة بالمساواة في النوع اجندة غريبة مفروضة على المنطقة لا تتسق مع الثوابت الثقافية العربية والاسلامية في هذه المجتمعات<sup>(28)</sup> ، لذا فالأمر جاء وفق مخاضات عديدة اصطدمت بعدد من الصعوبات المتمثلة بتغيير الثابت الثقافي الذي يحتاج الى اعداد عدة قوية تُمكننا من مجابهة الوعي المتأصل في فكر الافراد ومحاولة تغييره الى وعي يتقبل الفكر الجنّدي الذي سيرفع من الشأن الانساني ويُساهم في القضاء على التحيز والانتصار للأقوى والافضل جسدياً .

ولا بد لكل ذلك ان يواجه تحزّبات فكرية تدّعي انه سيطرة لقوالب غربية على عقولنا وافكارنا دون معرفة ان الامر لا يتعدى كونه اعلان تحقيق المساواة من جديد وبصيغ عقلانية في توزيع الادوار والمسؤوليات بين الذكور والاناث دون ابخاس حق جنس على حساب جنس آخر ، مما ادى الى وقوف هذا المفهوم موقف المترجرج يحتاج الى تثبيت الاركان وازالة كل الشبّهات عنه .

" ان عملية التفكير والبحث العلمي في قضايا المرأة وفي علاقتها بالرجل ظلت مُعطّلة بحكم عدم طرحها كموضوع اشكالي الى فترة متأخرة من تاريخ العلوم الانسانية والاجتماعية

، مما تسبب في شبه غياب لمبحث المرأة من دوائر الجدل العلمي والنقاش المجتمعي بشكل عام " (٢٩) ، اذ لم تكن هناك رغبة حقيقية في توسيع انطلاقة هذا المفهوم والدفع نحو انسيابية افكاره ومقاصده ومبتغياته ، وانما كان وما زال هناك عمل بطيء يتحرك نحو الدعوة والاشارة له ، اذ يلزم الامر وجود اتحاد في الرأي حول مقبولية هذا المفهوم وأهميته للبشرية أجمع وبالخصوص في المجتمعات التي تعاني تمييزاً واضحاً بين الجنسين .

لقد شهدت العقود الثلاثة الماضية وعياً مطرداً بضرورة تمكين المرأة من خلال عدة تدابير لزيادة العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتوسيع نطاق الحصول على الحقوق الانسانية ، وادخال التحسينات في مجال التغذية والصحة الاساسية والتعليم جنباً الى جنب مع الوعي بضرورة الحاق النساء بمفهوم النوع الاجتماعي كمتغير اجتماعي وثقافي شامل (30) ، فحتى تأخذ الثقافة الجندرية مجاًلاً أوسع وتجد لها منابت تتمدد من خلالها لابد من البدء بتطبيق افكارها ، وهي البدء بكسر حواجز التمييز بين الجنسين وفق المعطيات الثقافية المتجذرة ، اذ لابد من اشراك المرأة في ميدان العمل ليس كمكملة للعدد واستعطافاً عليها كضرورة اعطاؤها بعض الفرص ، وانما اخذ حظها في التأهيل العملي وفق مقدراتها ومؤهلاتها وفكرها دون وضع هالة حولها تُقيدها او تجعلها تابعة ، وانما فسح المجال لها لتشجيعها وتحفيزها على بذل كل ما يتناسب وامكانياتها ، فضلاً عن الغاء ثقافة الاستحواذ من قبل الآخرين عليها واطلاق الحرية لها لدخول كل ميادين الحياة بعملها وتخطيطها ، دون اعتبارات اجتماعية تحول دون تمكّنها من اداء ادوارها ، فهي بحاجة الى من يُفجّر طاقاتها حالها بذلك حال الذكور ككيان بشري له اهميته القصوى في الحياة ، على ان لا ننسى ان الامر يحتاج ايضاً الى اعادة صياغة رؤية جديدة ننظر من خلالها للذكورة وننظر الاخيرة من خلالها للمجتمع ، اذ يجب غرس مفاهيم تقوم على ان الذكورة ليست مرادفة للتجبر والتسلط والقوة والتسيّد ، وانما هي حسن التدبير ومراعاة حقوق الآخرين واحترام الآخر أياً كان وانها مساهمة بشكل فعّال في ادامة الحياة الى جانب الانوثة وليست مُتسلّطة عليها ، كما انها ليست مستهدفة من قبل الانوثة وانما طرفاً فعّالاً في قيادة الحياة الى بر الامان مع الانوثة .

كما ان الامر يتطلب ايلاء المزيد من الاهتمام لكيفية مشاركة الرجل في تحقيق المساواة بين الجنسين ، فضلاً عن الاثر الايجابي لتحقيق المساواة بين الجنسين للرجال ورفاه المجتمع ككل (31) ، وذلك من خلال تحديد الاساليب التي يمكن من خلالها فهم الثقافة الجندرية وماذا يعني تحقيق المساواة بين الجنسين وكيف تكون ؟ حيث لابد ان يعي الرجل ان للمرأة كياناً يتطلب الاهتمام والعناية حاله حال الجنس الآخر ، لذلك لابد من التعامل معه على هذا الاساس

وليس ككيان ضعيف يحتاج المساعدة ، اذ ان منح الحقوق هي ليست مساعدة وانما مشاركة في بناء الحياة الخاصة والعامة للمجتمع .

ايضاً ان اللغة تأثير رئيس على التطوير الناجح لأي تركيب جديد ، ولكي نكون اكثر اتساعاً لابد من تطوير لغة ايجابية اكثر وضوحاً لعكس التنوع<sup>(32)</sup> ، فنحن بحاجة الى لغة لا تؤدي الى اتساع الفجوة بين المعتقدات الثقافية ، بقدر ما نحتاج الى رؤى واضحة بأساليب تمنح الآخر في التعامل رغبة في التقبل واستعداد للعمل والتغيير بمحض الارادة وليس فرضاً ، او الاتجاه الى القطيعة عند عدم التقبل ، اننا نريد ان نؤسس لجندرية جديدة نعيد من خلالها تصوراتنا للحياة بأطر تكاد تكون ثورية تحاول ان تقضي على الرؤى القديمة ولكن ليس بأسلوب النسف الجذري ، وانما موائمة ما هو نافع وتفاذي كل ما من شأنه ان يكون ضاراً ويؤسس لسلطويات جديدة وفي ميادين عديدة .

ولعل كل هذه الاشياء ممكن ان تتحقق لو توفر وعياً ناقداً يقوم بفرز الامور المطلوب تحقيقها واتباع السبل الكفيلة بخلق توافق بشري صحيح وعقلاني تختفي فيه التفاوتات الجنسية والتمييز الاعمى بين الجنسين ، مع تأسيس منطلقات تكون داعمة للذكورة الراضية للتسيّد والتسلّط ومتسقة مع توزيع الادوار بصورة متساوية وفق المؤهلات والعمل الجاد ، والانطلاق بأنوثة راغبة بإعادة توازن حياتي جديد يمنحها الفرص الكافية لتخرج ما في مكنوناتها من طاقات ممكن ان تساهم بها في اعمار النشأ البشري وادامة الحياة بالإعمار والبناء .

ويقينا لا يمكن ايضاً بلوغ ذلك الا بانصهار الجهد الواحد باتجاه تعضيد هذا العمل، اذ ان الامر يبدأ من دور الاسرة في ذلك ودور المدرسة والمؤسسة الاقتصادية والسياسية والثقافية وكل طرف في المجتمع له غاية في تحقيق السلم الاجتماعي المنشود ، وعلى العكس من ذلك اذا لم يتم تحقيق هذه الاسس سيُكتب للجندرية وثقافتها الفشل وتبقى الثقافات البشرية تعاني اضطهاداً وتهميشاً للقدرات الانسانية بشكل واسع .

## خاتمة

ان محاولات تعرية المنهج الفكري الواضح للجندرية ما هو الا دليل على ان هذا التوجه بحاجة الى تعميق كبير في ظل موجات الرفض الطاغية التي ترفض اعادة صياغة الحياة من جديد وفق اسس تتغير من خلالها ادوار وواجبات المرأة والرجل ، وخلق حياة تفاعلية تضمن للأفراد من كلا الجنسين حياة من دون اعوجاج ، وفي خضم كل هذه التوجهات يمكن القول ان الجندرية محاولات لإعادة انتاج الحياة من جديد ولكن برؤى اخرى تختلف عن السابقة ، وتحاول الجندرية تغيير الصور الثابتة عن الحياة رغم كل موجات الرفض التي تعرّضت لها ورغم ان اتساعها ما زال دون المستوى الا انها ستأخذ ربما في القادم من الحياة مكاناً أكثر ثبوتاً ورسوخاً ، وتحتاج الى تدعيم أكثر وترويج لمفاهيمها بشكل اوسع دون التصوير للآخرين على انها محاولات لقلع مفاهيم أخرى واحلال الجندرية محلها بالقوة والارغام ، وانما بالتوافق والقدرة على فهم الامور .

وربما تكون الجندرية شكّلت صدمة للاتجاهات الراضية التي قد تستفيق يوماً من غفوتها لتعلن انضمامها لهذه التوجهات التي لا تبخس حق احد على حساب آخر ، ولعلّ جل ما تحتاجه الجندرية اليوم هو التمسك بكل ما تدعوا له دون الاضرار بالأسس الثابتة ، وانما التوافق معها لخلق حياة تتساوى فيها الادوار والقابليات للذكورة والانوثة بشكل يلغي كل انواع التسلط والتسيّد لطرفٍ على حساب الآخر .

## الهوامش

١. سالم لبيض ، الجنوسة والنوع والجندر في الثقافة العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٤٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٦-٤٧ .
٢. د. عائشة التايب ، النوع وعلم اجتماع العمل ، منظمة المرأة العربية ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص ٨٢ .
٣. المصدر نفسه ، ص ٨٨ .
٤. سالم لبيض ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .
٥. المصدر نفسه ، ص ٤٩ .
6. Gender Inequality and Women's Empowerment , Ethiopian Society of Population Studies , Addis Ababa, 2008 , p. 9 .
٧. مي الدباغ - اسماء رمضان ، النوع الاجتماعي : نحو تأصيل المفهوم في الوطن العربي واستخدامه في صوغ سياسات عامة فعالة ، مجلة اضافات ، العددان ٢٣-٢٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ١٢٠-١٢١ .
8. Gender Definitions and Mandates , OCHA Gender Toolkit : [https://docs.unocha.org/.../GenderToolkit1\\_2\\_GenderD..](https://docs.unocha.org/.../GenderToolkit1_2_GenderD..)
٩. مي الدباغ - اسماء رمضان ، مصدر سابق ، ص ١٢١ .
١٠. د. عائشة التايب ، مصدر سابق ، ص ٨٥ .
١١. سالم لبيض ، مصدر سابق ، ص ٦٢ .
12. Abbi Kedira and Lul Admasachewb , Violence against women in Ethiopia , Gender, Place & Culture: A Journal of Feminist Geography , Vol. 17, No. 4, August 2010 , p.446 .
13. Alberto Alesina , Paola Giuliano , Nathan Nunn , The Origins of Gender Roles: Women and the Plough (Preliminary) , October 2010 : [www.worldvaluessurvey.org/.../gender-roles-and-plough..](http://www.worldvaluessurvey.org/.../gender-roles-and-plough..)
14. Berta Esteve-Volart , Gender Discrimination and Growth: Theory and Evidence from India , London School of Economics and Political Science : [eprints.lse.ac.uk/.../Gender\\_Discrimination\\_and\\_Growth.](http://eprints.lse.ac.uk/.../Gender_Discrimination_and_Growth.)
15. Gender Definitions and Mandates , Op Cit .
16. Hazel Reeves and Sally Baden , Gender and Development: Concepts and Definitions , Prepared for the Department for International Development (DFID) for its gender mainstreaming intranet resource , February 2000 : [www.bridge.ids.ac.uk/reports/re55.pdf](http://www.bridge.ids.ac.uk/reports/re55.pdf) .



17. Ibid .
18. Abbi Kedira and Lul Admasachewb , Op Cit . p.439.
19. Bryan S. Turner , The Cambridge Dictionary of Sociology , Cambridge University Press , The Edinburgh Building, Cambridge CB2 8RU, UK , 2006 , p. 228 .
٢٠. سالم لبيض ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .
21. Augusto Lopez-Claros, Saadia Zahidi, Women's Empowerment: Measuring the Global Gender Gap , World Economic Forum , 2005 : [www.weforum.org/pdf/Global.../gender\\_gap.pdf](http://www.weforum.org/pdf/Global.../gender_gap.pdf)
22. Ibid .
23. Gender Definitions and Mandates , Op Cit .
24. Augusto Lopez-Claros, Saadia Zahidi, Op Cit .
25. Catarina Delaunay , Gender differentiation and new trends concerning the division of household labour within couples: the case of emergency physicians , Journal of Comparative Research in Anthropology and Sociology, Volume 1, Number 1, Portugal Spring 2010, p. 36 .
26. Sandy Ruxton and Nikki van der Gaag , Men's involvement in gender equality European perspectives , Gender & Development , Vol. 21, No. 1, 2013 , p. 172 .
27. Dr. K. H. Hilton , Modelling Complexity of Gender as an Agent of Change:  
[nrl.northumbria.ac.uk/.../Hilton\\_Modelling%20complex...](http://nrl.northumbria.ac.uk/.../Hilton_Modelling%20complex...)
٢٨. د. عائشة التايب ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ .
٢٩. المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
30. Augusto Lopez-Claros, Saadia Zahidi , Op , cit .
31. Sandy Ruxton and Nikki van der Gaag , Op cit , p.171 .
32. Dr. K. H. Hilton , Op cit .

## المصادر

## المصادر العربية :

١. سالم ليبض ، الجنوسة والنوع والجندر في الثقافة العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٤٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
٢. د. عائشة التايب ، النوع وعلم اجتماع العمل ، منظمة المرأة العربية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١١ .
٣. مي الدباغ – اسماء رمضان ، النوع الاجتماعي : نحو تأصيل المفهوم في الوطن العربي واستخدامه في صوغ سياسات عامة فعالة ، مجلة اضافات ، العددان ٢٣-٢٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٣ .

## المصادر الاجنبية :

4. Abbi Kedira and Lul Admasachewb , Violence against women in Ethiopia , Gender, Place & Culture: A Journal of Feminist Geography , Vol. 17, No. 4, August 2010 .
5. Alberto Alesina , Paola Giuliano , Nathan Nunn , The Origins of Gender Roles: Women and the Plough (Preliminary) , October 2010 : [www.worldvaluessurvey.org/.../gender-roles-and-plough..](http://www.worldvaluessurvey.org/.../gender-roles-and-plough..)
6. Augusto Lopez-Claros, Saadia Zahidi, Women's Empowerment: Measuring the Global Gender Gap , World Economic Forum , 2005 : [www.weforum.org/pdf/Global.../gender\\_gap.pdf](http://www.weforum.org/pdf/Global.../gender_gap.pdf).
7. Berta Esteve-Volart , Gender Discrimination and Growth: Theory and Evidence from India , London School of Economics and Political Science: [eprints.lse.ac.uk/.../Gender\\_Discrimination\\_and\\_Growth](http://eprints.lse.ac.uk/.../Gender_Discrimination_and_Growth).
8. Bryan S. Turner , The Cambridge Dictionary of Sociology , Cambridge University Press , The Edinburgh Building, Cambridge CB2 8RU, UK , 2006 .
9. Catarina Delaunay , Gender differentiation and new trends concerning the division of household labour within couples: the case of emergency physicians , Journal of Comparative Research in Anthropology and Sociology, Volume 1, Number 1, Portugal Spring 2010
10. Gender Definitions and Mandates , OCHA Gender Toolkit : [https://docs.unocha.org/.../GenderToolkit1\\_2\\_GenderD..](https://docs.unocha.org/.../GenderToolkit1_2_GenderD..)
11. Gender Inequality and Women's Empowerment , Ethiopian Society of Population Studies , Addis Ababa, 2008 .
12. Hazel Reeves and Sally Baden , Gender and Development: Concepts and Definitions , Prepared for the Department for International Development (DFID) for its gender mainstreaming intranet resource , February 2000 : [www.bridge.ids.ac.uk/reports/re55.pdf](http://www.bridge.ids.ac.uk/reports/re55.pdf) .
13. Dr. K. H. Hilton , Modelling Complexity of Gender as an Agent of Change: [nrl.northumbria.ac.uk/.../Hilton\\_Modelling%20complex...](http://nrl.northumbria.ac.uk/.../Hilton_Modelling%20complex...)
14. Sandy Ruxton and Nikki van der Gaag , Men's involvement in gender equality European perspectives , Gender & Development , Vol. 21, No. 1, 2013 .